

" تغير المدلول المعنى "

هل اللغة تتغير؟

يمكن للمعنى أن يثبت واللفظ أن يتغير، وقد يكون العكس وهو تغير المعنى واللفظ الثابت.

• هل درس علم الدلالة الحديث هذه القضية؟ نعم درسها وبيّن ذلك علماء اللغة في العصر الحديث في ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، والسويد، وأمريكا، إذ درسوا هذه القضية. فظهر في بريطانيا (أولمن)، وفي السويد (تورين) وفي أمريكا (جسيرسن)، وفي فرنسا (بربال)

خصائص تغير المدلول: لهذا التغير خصائص مميزة له :

١. إنه بطيء ، ومتدرج .

٢. إنه تغير طبيعي تلقائي غير مفتعل .

٣. هذا التغير حينما يقع يكون جبريا (حتميا) مثل اللهجات العامية .

٤. هو شامل أي حينما يقع تغير في المعنى في بيئة معينة يكون شاملا أي يشمل

كل أفراد تلك البيئة.

٥. يقع في زمن معين، مثل لفظ بتغير في مكان وزمان معينين ولا يتغير في مكان وزمان آخرين . إذن هو ظرفي.

٢. التاريخ والزمان والأجيال يبدأ كل جيل يضع على كل معنى لحسابه وذلك بسبب بقاء الكلمة ولكن مسالك حياة الأجيال تتغير فيطفون على اللفظة معنى بزيادة أو

عوامل التغير: هناك أسباب تؤدي إلى تغير المعنى وهي:

١- كثرة استعمال الكلمة وكثرة انتشارها وكثرة دوراتها في المجتمع ما هذا يجعلها عرضة للتغير.

٢- التاريخ والزمان والأجيال : إذ يبدأ كل جيل يضع على كل معنى لحسابه ؛ وذلك بسبب بقاء الكلمة ، لكن مسالك حياة الأجيال تتغير فيضيفون على اللفظة معنى بزيادة أو نقصان.

٣- المكان أي انتشاره في مكان واختلاف المكان يؤثر في تغير المعنى ضمن طبقات المجتمع الموجود في هذا المكان. وانتشاره أفقيا، أو عموديا يشمل جميع مجتمع المكان، والعمودي لطبقات المجتمع فكل طبقة لها معنى قد يتغير في مدلول اللفظ .

٤- قواعد اللغة يمكن أن يتغير المعنى عند الناس مثل كلمة (ولد) في العربية تعني الذكر والأنثى، وغياب علامة التأنيث في لفظ الولد صف الفكر إلى المذكر فقط .

٥- تغير الصوت يسبب تغير المعنى من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان كما في الضاد والضاء فلقد كان يتميز في السابق ، ولكن الآن لا يتميز، أو بصعوبة. مثل كلمة (ضن وظن) أحدهما تعني البخل والأخرى الشك ولكن النطق لهما واحد الآن في حين كان في السابق النطق يميز المعنى (صورة ومريم، صورة يوسف)...الخ هو المعنى لكلمة صورة المعنى الثابت بأنها آيات من القرآن الكريم ، ولها معنى آخر بسبب تغير الصوت ، وهو شكل الشيء، أو الشخص ... الخ .

٦ - تغيير المعنى نفسه، مثل السفينة التي تعني في السابق الجمل تغير معناها الآن؛ لأن هينتها تغيرت فأصبحت تعطي معنى جديدا وهو سفينة البحر وإن كان المعنى العام واحدا .

٧- غموض المعنى إذ كان المعنى غير محدد أو غير واضح وضوحا كافيا تشجع هذه اللفظة على تغير المعنى مثل: (الغريب) في اللغة وكذلك غريب الحديث وغريب القرآن الكريم، هذا الغريب غريب عند القوم مانوس عند قوم. هذا الغريب

٨- الافتراض اللغوي وهو أن تفترض لغة من لغة أخرى وهذا تبادل عام في جميع اللغات، هذا الافتراض يحصل أحيانا أن يفترض لفظ ليس بنفس الدلالة وإنما يحصل تصرف في المعنى .

قوانين تغير المعنى:

القوانين مشهورة ومعروفة وهي أربعة:

١، تعميم الخاص: مثل كلمة (رائد) الذي كان يتقدم القبيلة أصبحت تدل على كل من يتقدم في شيء كرائد الفضاء ورائد الشعر الحر مثلا...الخ فهذا خاص وأصبح عام.

٢. تخصيص العام: مثل كلمة (الحج) التي كانت القصد لأي مكان قبل الإسلام

وبعد الإسلام ثم صار الحج إلى بيت الله فقط. ٣

٣ - انتقال الدلالة لعلاقة المشابهة: وهذا كثير مكل قولهم (فلان يتكلم بالدرر) أي شبه الكلمات بالدرر ووجه الشبه هو النفاسة أي كلماته نفيسة كنفاسة الدرر.

٤- انتقال الدلالة بمقتضى المجاز المرسل: إذ ليس هناك وجه مشابهة ، ولكن هناك رابط وعلاقة، مثل في القرآن الكريم في قصة نوح(ع) (جعلوا أصابعهم في آذانهم) فهو يقصد الأنامل ويمكن أن يجعلوا الأصابع فعلاقة الأصابع بالأنامل هو الجزئية، الأنامل جزء من الأصبع، ومن المجاز المرسل ما يطلق على الجزء ويراد به الشكل ، مثل : كلمة " العين " التي تعني الشخص مثل (مجلس الأعيان) وفي التوكيد مثل (جاء زيد عينه) .

تحصيل المعنى :

كيف يكتسب الإنسان المعاني ؟

- هناك نظريات تداولها علماء النفس في العصر الحديث أشهرها النظرية التعليمية، وهذه النظرية لها جذور وأبرزها من تكلم بها في العصر الحديث هو " بلو مفيلد" النظرية الثانية هي النظرية العقلية وعلى رأسها " جومسكي" .
والنظرية المعرفية وعلى رأسها " بياجيه" .

الرأي الأوفق أن جميع هذه النظريات هي التي تفسر كيفية اكتساب المعنى، ومن الذين بحثوا هذه المسألة هو الدكتور " إبراهيم انيس" في كتابه دلالة الألفاظ. يقول:
إن الإنسان يكتسب المعنى بمراحل:

- المرحلة الأولى/ السماع .

-المرحلة الثانية الإدراك: أي إدراك ما يسمع، ومقدار الصوت الذي سمعه هل استوفاه؟ هل أحاط بالمسموع؟ قد تكون هناك أخطاء بالسمع أو عدم السمع بوضوح...الخ.
ومقياس السمع، كم سمع ؟.
- المرحلة الثالثة/ الفهم .

ما مضمون هذا الصوت؟ ما معانيه؟ المتلقون تلقوا هذا الصوت وهو يحمل معنى معيناً، هل تلقوا هذا المعنى بمستوى واحد؟ هل فهموا فهماً واحداً ؟ وهل الفهم واحد دائماً ؟
الجواب: قد يكون الفهم واحداً أو مختلفاً .

ولماذا يختلف الفهم وكثيراً ما يكون واحداً ولكن أحيانا يختلف ؟

- لم يتوصل العلماء إلى جواب وعلم النفس بدأ يتحدث عن أسباب عدم توصله إلى جواب . وتوصلوا إلى إن القضية تخص العقل الإنساني، هذا العقل ارتباطه بأي شيء، ؟
قالوا: العقل مرتبط بالإنسان والإنسان جسم وروح وهنا هو الارتباط الطبيعي، وقالوا:
الجسد كيان معقد وإلى اليوم ما وصل إليه العلم لم يستطيع أن يقف على جميع اسرار هذا الجهاز. هذا في عالم المادة أي الجسد، فما بالك بارتباط عقل الإنسان بالروح وقد

قال تعالى {يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي} أي معرفة الجواب مغلقة.

لذلك فالتفاوت متوقع في الفهم ؛لأنه يرتبط بالعقل والعقل متفاوت بطبيعة الحال.

هذه قضية ملموسة في الحياة مثال ذلك " عشرة أشخاص يكتبون كتابا هل يكتبونه بنفس المستوى من الفهم؟

الجواب : طبعا لا وذلك للتفاوت الطبيعي بينهم .

المرحلة الرابعة: النطق: وهو اكتساب اللفظ والمعنى. بعد هذه المراحل كلها تواجه عقبات مثل إطلاق اسم شيء على شيء آخر بينهما صلة مثل الكرسي، والسرير تتكرر التجارب ويسمع الطفل لفظ (السرير) يطلق على سريره وسرير أخيه الكبير وسرير أبويه وهما يشتركان مع سريره في صفات، ويختلفان في صفات أخرى،

وهنا تبدأ عملية التعميم لعله يصل إلى المعنى الكلي للأشياء، فيلتبس وجوه الاختلاف بين تلك الأشياء التي يطلق عليها لفظ (كرسي) مثلا ويحاول إطلاق اسم سرير على الكرسي، فإذا رأى شخصا يجلس على صندوق مثلا خيل إليه أن الصفة الأساسية لما يسمّى بالكرسي هي إمكان الجلوس عليه وهنا يطلق على الصندوق كلمة (كرسي). وكذلك تخصيص العام مثل (اللعبة) الفهم الأول تعني أي لعبة لكن الطفل بالنسبة له لعبته الخاصة، إذ قيل له سابقا هذه لعبة، ولعب بها وعندما تطلق كلمة لعبة أمامه يتصور لعبته المادية التي تعامل معها فصار عنده تخصيص العام . من مشكلاتها أيضا. الألفاظ ذات الدلالات المتقابلة أو المضادة مثل (فوق، وتحت)، و (ساخن وبارد) و(عالي وواطئ) و (يمين وشمال). فيخلط بينهما ويستعمل أحدهما مكان الأخرى زمنا غير قصير.

ومنها أيضا **المستدل اللفظي** وذلك كان يدل اللفظ الواحد على أكثر من دلالة، فالكتاب في يد أخيه التلميذ و(الكتاب) في ليلة عرس لعمرته أو خالته أو الكتاب الرسمي، أيضا من المشكلات اختلاف دلالات بعض الكلمات باختلاف سياقاتها مثل كلمة (صاحب) التي يسميها الطفل في عبارة مثل (صاحب البيت) أي المالك ويسمونها مرة أخرى تشير إلى صديقه فيمثل (صاحبك) .

ومن المشاكل مشكلة الضمائر: فالطفل يسمع أباه يقول (أنا) ويسمع أمه تقول (أنا) ويسمع عمه يقول (أنا) فلا يدري أي هؤلاء هو (إننا) الحقيقي؟ ولا تدهش من أجل هذا أن تسمع طفلا يقول لأبيه (أنا روح) يريد (أنت أذهب) أو حين يشير إلى نفسه بالضمير (أنت)، وما يعقد المشكلة أكثر تلك الضمائر المتصلة فيقول الطفل مثلا: (أأخذ اللعبة من أنت) بدلا (منك) أو يقول (من أنا) بدلا (مني) ... الخ .

ومن المشكلات الأصوات المتقابلة أو المتشابهة والإنسان ينطق كلمة تحمل معنى واضحا ولكن أحيانا ترى أن هذه الكلمة عندما ينطقها آخر مثل كلمة صورة فهي مستقرة في ذهنه على إنها الصورة المادية لشكل من الأشكال ولكنه سمع (سورة) فهل هي نفسها وهي تعني سورة قرآنية والقرآن ليس فيه صور. هناك مشكلة المعنى الأساسي والمعنى الهامشي فكلمة (تفاحة) مثلا يفهمها الطفل كفاكهة

الجديد يشكل له مشكلة، والدلالة الهامشية هي الدلالة الشخصية مثل كلمة (بنسولين) لها دلالة عند العامة وعند شخص آخر عنده دلالة أخرى وهي الدلالة الهامشية مشكلة المشكلات للطفل عموماً هي مشكلة (المجاز) فقد تحل المشاكل السابقة بمرور الزمن ولكن المشكلة عندما يستعمل الكبار الألفاظ بطريقة المجاز " كرجل الكرسي، وأسنان المشط، ويد السكين، وعين الإبرة، وجناح الطائرة وجذر الأسنان" ... الخ .

– المرحلة الخامسة: الخبرة أو التخصص: فكلمة تفاحه عند المتخصص باللغة عندما ينطقها لفهم مثلاً (كتاب التفاحة) أو (الكتاب) دلالة على كتاب سيبويه، ولكن هما عند غير المختصين أو عند مختصين آخرين في غير هذين الاختصاصين لهما دالتين آخرين فالتفاحة عند المزارع تعني شيئاً، آخر والكتاب عند مدير الدائرة تعني شيئاً آخر ، فالفهم كسب الخبرة وهو الاتفاق على المعنى الأول ولكن المعاني الأخرى فهمها كسب الخبرات الأخرى، فهذه المرحلة الأخيرة التي يكتسب بها الإنسان المعنى .

تحسين المعنى :

التحسين في البلاغة وفي علم البديع الحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية أيضاً، فهو يهتم بالتركيب مثل (س، ص) يمكن لنا تركها س، ص أو ص، س مثل (حضر معلم) يمكن أن تقدم وتؤخر ونقول: المعلم حضر وأحياناً لا يمكن التقديم والتأخير مثل (حضر المعلمون) فلا يمكن أنقول: المعلمون حضر. هذه هي مهمة النحو كما في المثال (في السن صاحبها) لا تقدم ولا تؤخر. علم الدلالة يؤكد على ذلك، ولكن أين نختار هذه التركيب عن هذا الآخر. وهذا هو الذي اكتشفه عبد القادر الجرجاني في نظرية النظم بكتابه (دلائل الإعجاز) . من المحسنات :

التورية، والتورية في علم البديع وفي اللغة العربية وعلم الدلالة التقديم هي كلمة لها معنيين: أحدهما قريب؛ وهو الظاهر وهناك معنى آخر هو البعيد وهو يستطيع أن يأتي بمعلى يدل على البعيد ولكن أراد المحسنات، قال تعالى: (ويعلم ما جرحتم بالنهار) .

فالجرح معلوم والمعنى القريب ولكن المعنى البعيد أفعال الإثم الذنب وهو يستطيع أن يقول (ما أذيتم) ولكن الأول أبلغ وأجمل وأقوى ... الخ وهذا الذي احتج به عبد القاهر عند ما قال "القرآن اختار المعنى الأول ولكم أن تختاروا التراكيب الأخرى فعل هي بنفس المستوى التركيب الأول من ناحية المعنى الذي جاء به القرآن" .

ويعرف محمد الخولي التورية في كتاب (علم الدلالة الحديث) : ((التورية أو التلاعب

اللفظي، هي اللعب بكلمة ذات معنيين، أو كلمات متشابهة اللفظ مختلفة المعنى))

الطباق: أيضاً من المحسنات اللفظية وهو في تعريف المحدثين: - استعمال كلمتين أو أكثر في جملة ما ثم الإتيان بأضدادها في جملة ثانية. مثل (أضحك، وأبكي) تأتي بهما في جملة وتأتي بجملة أخرى ضديهما وهما (أحزن ، وأسعد) وفي القرآن: (نياما وهم رقود) هذا اطباق .

المقابلة: وهي من المحسنات اللغوية أيضا وهي فرع من الطباق ، وهي : أن يأتي ناظم الكلام بمعان متعددة في صدر الكلام ، ثم يأتي بعد ذلك بعدة معانٍ أخرى مضادة للكلام الأول ، أو غير مضادة ، ومن ذلك قول الشاعر :

لثمتُ ثغور الترب في عرصاتك كما لثمت قدما ثغور ترائبي .

قياس المعنى :

- - أجريت تجارب في علم النفس من ذلك مثلا بين هؤلاء العلماء أن الإنسان حينما يفكر بشيء هناك أجزاء في جسمه تتحرك بموجب ذلك التفكير، مثلا لو فكر الإنسان برفع يده بالمصافحة أو بالضرب .. الخ حينما يقوم الطبيب بفحص اليد وهي لم تتحرك بعد تبين أن هذا الجزء والنشاط العقلي تجاهه يتحرك بطريقة معينة وهذا مرتبط بعقل الإنسان ، أصحاب هذه النظرية قالوا ندرس هذا النشاط ونستدل به على حجم المعنى ومدى الاهتمام به .. الخ .

موضوع قياس المعنى شائك بعض النظريات أخفقت وبعضها نجحت ومن النظريات:

١. النظرية الفسلجية: وتقوم على قياس المعنى عن طريق الفسلجة والتي قام بها علماء النفس وأبرزهم " جاكسون" عام ١٩٣٢ وهو إن الجانب الفسيولوجي في جسم الإنسان هي جوارحه كاليد لها ارتباط بقياس المعنى وكاللعب أيضا المتكلم لديه لعاب بدرجات متفاوتة وحركات اليد أو الرأس.

السؤال هنا: ما الرابط بين التفكير وهذه الحركات ؟

٢. نظرية المجالات الدلالية: في عام ١٩٥١ قدم العالم النفساني (كوفر) نظرية المجالات الدلالية وموضوعه قياس المعنى وقد وجد منفذا في هذه النظرية وهو (جانب الانتماء) ومثل الكلمات (صلاة، مسجد، معبد، مدرسة) هناك ما جمعها ويربطها معا ولكن هذا الترابط ليس مطلقا فلو نظرنا لها من زاوية معينة نجد العامل المشترك بين ثلاثة منها والرابع لا يدخل في هذا الخط وهي (العبادة، الصلاة، المسجد) والمدرسة تخرج، وفي هذا ما يميز المعاني. وعندما ننظر لها من حيث هي معاني نجد أن الصلاة تخرج. هذا النوع من تدقيق المعنى ومن ثم هونوع من قياس المعنى.

٣. نظرية التداعي: عام ١٩٥٢ قدم العالم النفساني (نوبل) نظرية سماها نظرية التداعي مثلها كلمة (أم) عندما ننطقها سوف نتداعي السامعين أول شيء معنى (الأب) أو العمل بالمخطوطات وتحققها فتداعي معنى (أم المخطوطات) وعند سامع آخر يتداعي معنى (أم الجامعات)، فهذا تداعي، أي تداعي المعاني وهي غير هذه النظرية تحدد التداعيات فهل لها ارتباط بالمعنى الأول؟ وهل هذا قياس للمعنى؟ - هذا مأخذ على النظرية فلا يفيد تداعي المعاني في قياس المعنى وقد بقيت ضمن هذا الإطار .